جماليّات أسلوب النَّفْي في عيون البصائر لمحمد البشير الإبراهيمي

أ. فاطمة الزهرة المالحي [1، *] - أ.د السعيد هادف [2]

[1، 2] جامعةباتنة 1 الحاج لخضر باتنة - الجزائر

تاريخ الارسال: 2019/04/26 تاريخ القبول: 2020/04/27 تاريخ النشر: 2021/11/11

ملخص:

يتناول هذا المقال بالدراسة والتحليل، موضوع "أسلوب النّفي" بالنّظر إلى كيفية التّفاعلات الإبداعية والجمالية في إحداث نقلة أسلوبية تلامس ذهن المتلقي باعتباره عنصرا مشاركا في تأسيس الخطاب، ونحن بصدد دراسة خُطبِ "مُحَمَّد البشير الإبراهيمي"، الممثلة في كتابه "عيون البصائر"و التّطرّق لمفهوم الوظيفة الجمالية الخطابية والبحث في أسلوب النّفي ودلالته.

الكلمات المفتاحية : أسلوب النّفي؛ عيون البصائر؛ الوظيفة الجماليّة؛ الخطاب.

Abstract:

This article examines and analyzes the subject of "negation technique" in terms of how creative and aesthetic interactions can bring about a stylistic shift that touches the mind of the recipient as a co-founder of the discourse. We are studying the speeches of "Mohammed al-Bashir al-Brahimi" Touching ,the concept of the aesthetic function of rhetoric and research in the method of exile and its implications.

Keywords: style of negation, oyoun elbasyer, the aesthetic fonction, discourse

مقدمة:

إنّ البصائر معرض العربية الرّاقية في الألفاظ والمعاني والأساليب، يجلب إليه كرائم اللغة من مأنوس صيّره الاستعمال فصيحا، وغريب يصيّره الاستعمال مأنوسا، وهو مَجْلَى الفصاحة والبلاغة في نمطها العالي، هي صورة من صور الإبداع الفني ونحن في هذا الصدد نحاول دراسة جماليات أسلوب النفي في عيون البصائر.

- فماهو أسلوب النَّفْي؟،
- وماهي أهم الفروقات الدقيقة بين حروف النفي؟،

* **المؤلف المرسل:** azade.montazery1@gmail.com

– وكيف استعمل "**الإبراهيمي**" النفي في مقالاته؟ فقوّة النَّفْي تتمايز من حرف لآخر حسب المقام وسياق شدة الإنكار.

إنّ موضوع النّفي بشكل عام تتجاذبه عدّة أوجه نحوية، لغوية، دلالية، تداولية وعرفانية ويعدّ من أهم القضايا المبثوثة، إمّا قديما في كتب النحو والبلاغة وأصول الفقه التي أشار إليها العديد من العلماء كالكتاب "**لسيبويه**"، والمقتضب "**للمبرد**"، والأصول "**لابن سراج**"، والمفصل "**للزّمخشري**"، وكذلك أوضح المسالك ومغني اللبيب "**لابن هشام**"، وشرح المفصل، "**لابن يعيش**" ، ودلائل الإعجاز لـ "**عبد القاهر الجرجاني**"، في تحديد مفهوم النفي وأساليبه المختلفة وعلاقته بالتقديم والتأخير والتأثر بالسياق وكذا دراسة "**أسلوب النفي**" حسب ما تقتضيه أساليب أخرى كالاستفهام والعطف والتمني والاستثناء والقصر والشرط .

ومن خلال الأفعال عوض الاقتصار على الفعل "**أبى**" و"هيهات" ولفظ الردع والجزر "كلا". وكتب علوم القرآن منها الإتقان في علوم القرآن **للسيوطي** والبرهان في علوم القرآن **للزركشي** وغيرها من أمهات الكتب...، وإمّا في الدّراسات النحوية الحديثة نجد "**مصطفى النّحاس**"، وكتابه في أساليب النفي العربية، ومرجع **آخر** "**لأحمد البقري**" الموسوم بأساليب النفي في القرآن الكريم كما نجد مرجعا حديثا مهما " **لشكري المبخوت** " **الموسوم بـ** إنشاء النفي وشروطه النحوية والدلالية، سعى من خلاله إلى قضايا مهمّة لعمل النفي وخصائصه الدلالية.

تحديد المصطلحات:

1الجماليّة:

أوّل ما ينبغي استحضاره إزاء علم الجمال وتشابك مباحثه أنّه لا ينتمي إلى المعرفة العقلية الواضحة قدر انتمائه إلى المعرفة الحدسية الغامضة والنشاط الجمالي نشاط إنساني ممارسة وإدراكا، ولذلك يغمض ويتعقد ويتعدّد، فالذوق مثلا – بوصفه خلفية للحكم الجمالي– يختلف بين الأفراد اختلافا كبيرا، " وقد يلبس مفهوم الجميل بمفاهيم أخرى؛كالنفع واللذة والجدة والغرابة".

"أمّا الموضوعات الجماليّة فتشهد من التباين والكثرة ما لا يكاد يستقصي كما تتعدد وتختلف وسائطها ووسائلها، وتتفاوت الظروف الاجتماعية والتاريخية والنفسية التي تولد فيها الأعمال والفنون، وهذه كلّها عوامل تعيق الركون إلى مفاهيم دقيقة ومحدّدة للجمال ومتعلّقاته، بيد أنّ إغراء السؤال لم ينقطع، حيث ظل البحث عن كنه الجمال وماهيته مركز النظريات الجمالية منذ العصور القديمة للإغريق.

ولا شكّ أنّ البحث الجماليّ يتجاوز مستوى النشاط الجمالي اليومي للإنسان إلى ما سماه "**اتيان سوريو**" الحاجة الجمالية.

إنّ علاقة علم الجمال بالفن، من أهم ما استوقف الفلاسفة والباحثين منذ القدم، – وهم في العموم– مُجْمِعُون على أنّ " لفظ الفن " يشير إلى إنتاج موضوعات أو خلقها عن طريق نوع الجهد البشري وأن الجمال يشير إلى جاذبية

الأشياء أو قيمتها".ولا يشترط فيها الجهد البشري لتستميلنا جماليا بل إنّ الأصل فيها أن تكون طبيعية، ولكنها تصبح فنّا من خلال التغيير والتصرّف الذي يمارسه الإنسان.[1]

عرّف "**بيكون**" الفن بأنّه : " الإنسان مضافا إلى الطبيعة "، وهذه اللّمسة الإنسانية ليست-في كل الأحوال- نقلا حرفيا لهذا الجمال الطبيعي، ولكن تقوم على أساس من عمليّات الاختيار والتفسير والتنظيم، وهذا التصّرف هو الذي يضفي على الأشياء والظواهر طابعا جماليًّا، حتى لو كانت عادية، أو ربما قبيحة".[2]

1.2مفهوم الجماليّة (Aesthetic):

يشير هذا اللّفظ، ابتداء من النصف الثاني من القرن الثامن عشر إلى اللفظ الألماني (Aesthetica)، ثم الفرنسي وغيره، الذي بات مع الفيلسوف الألماني "**بومغرتن**" لفظا اصطلاحيا، بل عنوانا لمقاربة خاصة باتت تميز بين "أحداث الذكاء" و" أحداث الحساسية" ومنها أحداث الفن، وهو ما بلغ عنده طموح تأسيس سبيل دراسي جديد فلسفي وعلمي يجعل من الجمال ومن الفن موضوعا له وهي نقلة كبيرة في تاريخ الفكر، فالجمالية جماليات...يشير لفظ " جمالية" إلى دلالات مختلفة منها: صفة لما هو محلّ تقدير وتثمين، سواء أكان شخصا أن منظرا أم إنتاجا وغيرها...[3]

"يقول "**ياوس**"، واصفا المسافة الجمالية، هي التي تميّز المتعة الجمالية عن أشكال المتعة، إن حالة المتعة الجمالية بتخليصها الوعي المصور من ضغط العادات والمصالح تمكّن الإنسان الغارق في الممارسة اليومية من التحرّر من أجل تجارب أخرى ويتم هذا التحرر من ثلاثة مستويات:

- **مستوى الإنتاج**: حيث نخلق الوعي عالمه.
- **مستوى التلقي**: حيث يستغل الوعي، بما هو نشاط استقبالي إمكانية تجديد إدراكه للعالم.
- **مستوى التأمل**: والذي يستخلص القواعد من الفعل.

ويظهر من خلال ما تقدم أن "**ياوس**"، حاول إعادة تأريخ جديد للأدب جعل فيه المتلقي بؤرة العمل الأدبي، والمانح للأدب سيرورته التاريخية والمحدد لجماليته"[4].

2. مفهوم النفي

2.2المفهوم اللغوي: مادة-ن ف ي- (نَفَاهُ) طرده وبابه رمى يقال نَفَاهُ (فَانْتَفَى) و(نَفَى) أيضا يتعدّى ويلزم قال **القُطامي**: **فَأَصْبَحَ جَارَاكُم قَتِيلًا (ونَافِيًا)**؛أي مُنْتَفِيًا، وتقول هذا يُنَافِي ذلك وهما (يَتَنَافَيَان) و(النُفاية) بالضم ما نُفي من الشيء لِرَدَائَتِهِ[5].

باستعراض ما تعنيه مادة "**نَفَى**" في المعاجم اللغوية العربية، بدءً بلسان العرب "**لابن منظور**" حيث **يقول**: « نَفَى الشيء ينفي نفيًا، تنحّى ونفيتُه عنها: طردته فانتفى، وتنافت الآراء والأحكام تعارضت وتباينت » [6]، وجاء هذا اللفظ في الاستعمال القرآني بمعنى الإبعاد والطرد، قال عزّ وجلّ: ﴿ **إِنَّمَا جزَاءُ الذين يُحاربُون الله ورَسوله ويَسْعَونَ فِي الأَرْضِ**

فَسَادًا أَنْ يُقتَلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيدِيهم وأَرْجُلُهُم مِنْ خِلَاف أَوْ يُنفَوْا مِن الأرضِ﴾[7]، فالنفي لغةً يدور حول معنى الابتعاد والطّرد والإخراج والطّرح وهو نقيض الجمع والضم والإحاطة[8].

2.3 المفهوم الإصطلاحي:

النفي: "هو ردُّ الشيء أو جحده، يقال: نفيت الشيء أنفيه نفيا ونفاية إذا رددته، ويقال نفيته إذا جحدته، جحدته، فهو في الاصطلاح سلب معنى الجملة بإحدى أدوات النفي السابق ذكرها،

وهو عكس الإثبات أو الإيجاب الذي يخلو من تلك الأدوات".[9]

يقول **"ابن يعيش"** في كتابه المفصل...قال الشارح: « اعلم أنّ النفي إنما يكون على حسب الإيجاب لأنّه اكذاب له فينبغي أن يكون على وفق لفظه لا فرق بينهما إلا أنّ إحداهما نفي والآخر إيجاب...»[10]، والنفي ضدّه الإثبات فجملة " **الصدق نافع** "كلام مثبت، وجملة " **لا ينفع الكذب** " ،كلام منفيٌ.[11]

2.3 في القرآن الكريم:

يردُ لفظ النّفي في الاستعمال القرآني بمعنى الإبعاد والطرد، يقول عزّ من قائل: ﴿**إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَونَ فِي الأَرضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الأَرْضِ**﴾[12].

3. أسلوب النفي:

يُستخدم أسلوب النفي للتعبير عن عدم فعل الشيء، فننفي مضمون الجملة، ويكون النفي في الجملة الفعلية والاسمية، ويتكوّن أسلوب النفي من حرف النفي وبعدها يأتي الفعل أو الاسم، فنحن عندما نتحدّث عن النفي بإحدى حروفه الآتية :(لا، ما، لم، ، لن، لما، وليس، ولات)، ولكلّ حرف تأثير، قوة وضعفا وذلك حسب المخاطَب والسياق طبعا.

النّفي بـ(لا):

لنسوق مثالا توضيحيا لما سبق وقلناه يقول **"الإبراهيمي"** في حقّ جمعية العلماء:« وإنّها لنقطة اصطدام على الحقيقة بين نظر الجمعية وبين نظر الاستعمار، **فلا** الإسلام يسمح لنا أن نعمل **غير** ما عملناه ولا الاستعمار يرضى عن ذلك العمل، وقد أجبناه وانتهينا، ومضينا **وما** انثنينا...»

كما يقول عن جريدة البصائر: « جريدة البصائر هي أحد الألسنة الأربعة الصامتة لجمعية العلماء، تلك الألسنة التي كانت تفيض بالحكمة الإلهية المستمدة من كلام الله وكلام رسوله والتي كانت كلّما أغمد الظلم لسانا منها سلّ الحق لسانا **لا** ينثلم **ولا** ينبو، وتلك هي السنّة والشريعة، والصراط والبصائر... وتستندُ على الإلهامات الرّبانية حتى في أسماء صُحُفِها، **ولا** مكذّبة فما أخطأها التوفيق ولا مرّة ».

-(**لا**) أخفّ من (**ما**)، فوضعوا الأخفّ للأكثر ثم إنّ النّفي في الماضي، إمّا أن يكون نفيا واحدا مستمرا، وإمّا أن يكون نفيا فيه أحكام متعدّدة...[13] وذلك ما نلحظه في استخدامات "**الإبراهيمي**" لحرف النّفي(لا) في خُطبه، حيث تعدّ « (**لا**) من أقدم حروف النفي في العربية، ويفترض " **براجشتراسر**" وجودها في اللغة السّامية الأم، ودلالتها " **النفي الصريح الحاد، والقاطع...**»[14]

النفي ليس أساسا في بناء الجملة، بل هو: " من العوارض المهمة التي تعرض لبناء الجملة فتفيد عدم ثبوت نسبة المسند للمسند إليه في الجملة الفعلية والإسمية على السواء، فالنفي يتجه في حقيقته إلى المسند وأمّا المسند إليه فلا ينفى، لذلك في الجملة الإسمية يمكن أن يتصدّر النفي الجملة فيدخل على المبتدأ أو الخبر معًا".[15]

والنفي كالخبر المثبت يحتمل الصدق والكذب لذاته ولذلك تقبل الجملة الإسمية النفي دائما، ولا تقبل الجملة الفعلية النفي إلا إذا كان الفعل ماضيا أو مضارعا، أمّا إذا كان فعلها أمرا فإنّه لا ينفيه مطلقًا.

3.1 النّفي نوعان (ضمني وصريح):

أ–الصريح: ينفي حدوث الفعل والاسم نفيا صريحا، أو هو عدم ثبوت نسبة المسند للمسند إليه، وهذه الأدوات كما وردت في كتب النحاة العرب هي: (**لا، لم، ما، ولمّا، ولن، وليس، وإنْ**).

إدراكنا البعد الجماليّ لأسلوب النفي في مدونة عيون البصائر هو محط اهتمام بحثنا وعليه نروم من خلال هذا المقال استنطاق جماليات النفي المستخدمة من قبل الإبراهيمي وصولا إلى ذهن المتلقي.

النفي بـ(ليس): فعل ماض جامد من أخوات كان (لستُ، لستَ، لستِ، ، ليسوا).

يقول"**الإبراهيمي**": يا إخواننا–خطاب عطف وتشريف– لسنا والله نبغضكم، فما أنتم إلّا رأس مال هذه الأمة الفقيرة، ولسنا والله نتهكّم بمالأة الإستعمار فأنتم عندنا...».[16] "(**ليس**): فعلٌ جامد، ومن ثمَّ ادّعى قومٌ حرفيّتهُ، ومعناهُ نفيُ مضمون الجملةِ في الحال، وينفي غيره بالقرينة، وقيل: هي **لنفي الحال** وغيره، وقوّاه "ابن لحاجب" **بقوله تعالى:** ﴿ **أَلَا يَوم يأْتِيهم لَيْسَ مَصورفًا عَنْهُم** ﴾[17]، فإنه نفي للمستقبل.

الجملة المنفية بـ (لم) أو (لمّا):

من أدوات النفي أيضا (لم) و(لمَّا) كلتاهما لها نفس الوظيفة، وهي نفي وقوع الفعل. إلّا أنَّ ثمة فرق دقيق بينهما، فالمتكلم بأداة النفي (لمَّا) يتوقع غالباً زوال النفي وحصوله مثبتاً، فإذا سأل سائل فقال: هل جاء زيد؟ وكان الجواب **لمَّا يأتِ زيد**، فهو نفي لحضوره ولكنه يتضمن توقع حضوره وزوال النفي عنه.

يقول "**مُحَمَّد البشير الإبراهيمي**" عن جمعية العلماء وموقفها من السياسة والسّاسة: « إنّ هذه السفاسفَ **لم** تُبنَ على مقاصد صحيحة، **فلمْ** تأتِ بنتائج صحيحة، **ولمْ** تنشأ عن ايمان راسخ، فلم تظهر لها ثمرة ناضجة، **ولّما** بليت السّرائر ...» .[18]

" تتفاوت درجات الفعل وقوّته الإنجازية في حالة الإثبات، كما تتفاوت أيضا في حالة النفي وهذا التفاوت لا تحدّده حروف النفي ودرجات قوتها، بل يحدّده النظم وهو ما أشار إليه الجرجاني في المثالين الآتيين:

– **لم يأتك القوم مجتمعين.** **– لم يأتك القوم.**

فالجملة الأولى لا تنفي فعل الإتيان مطلقا، بل تنفي أن يكون القوم قد جاؤوا مجتمعين ولا متفرقين من هنا كان فعل النفي في الجملة الثانية أقوى منه في الجملة الأولى."[19]

النّفي بـ (لن): تدخل على المضارع فتنصبه وتخلصه للاستقبال.مثل :**لنْ** تفلحوا و**لنْ** تصلحوا إلّا إذا رجع أمركم إلى الشعب.

يرى "**الزمخشري**" أنّ(لن) تفيد تأكيد نفي المستقبل وتأكيد النفي له الذي لا تعطيه –لا– ذلك لأن –لا– تنفي المستقبل فقط، فتقول :لا أفعل

ب–الضّمني: وهو ما يُدرك ضمنيا وسياقيا ودونما الرجوع إلى الإسناد أو الأدوات كما يأتي بهاته الأفعال: أمنع، أنفي، أنكر، ...ونرى أنّ "**الإبراهيمي**" يستخدم هذه الأفعال في عيون البصائر لدحض فعل أو إنكاره، يقول:« والصحافة العربية... لا تزال آثار ذلك القرار" **الشوطاني**" باديةً في معاملة للصحافة العربية واعتبار لغتها أجنبية في وطنها ولا تزال الأمّة العربية الجزائرية تنكره وتجحده؛ فهل آن لإلغائه والتنفيس على الصحافة...وهل آن للإنصاف أَنْ يلامس هذه الأفكار الرجعية ؟ ».[20]

4.1 نظام حروف النفي والفروق بينها:

خصّصت العربية، (لا، ما، لم، لما، لات، لن، إن) لوسم النفي، وهي مجموعة منتهية مغلقة لا يكون النصّ على النفي إلا بها، وما يهمنا في هذه الفقرة أن ننظر في ما بينهما من فروق تبرّر وضع الواضع لها دون غيرها لتحديد، ما تتضمّنه من توجيه دلالي للأقوال، فلئن كانت تشترك في دلالتها العامّة على قوّة النفي فإنها تختزن ما يحتاج إليه المتكلّم من طرق للتعبير عن المقامات المختلفة عند الاستعمال.

تتنوّع دلالات الحروف النّفي عامّة، فلو تصفحنا أي كتاب من كتب النحو "**للزجاجي**" و"**المرادي**"، و مغني اللبيب للأنصاري وغيرها.. من الكتب النّحوية لرأينا ركامًا من المعلومات واختلافات في دلالات النفي بين جموع علماء النحاة، ولعلّ ذلك راجع أحيانا بقضايا إعرابية لبعض الشواهد القرآنية والشعرية ويرى "**المبخوت**" أنّ الأمر عائد إلى أنّ ضبط دلالة مجرّدة لحرف من الحروف سواء أكانت للنفي أم لغيره والنظر فيما يتولّد عن تعاملها مع ما تتصل به من

المعاني..فكثرا ما يصطدم بالشواذ من ذلك مثلا ما يتصل بحروف النفي ما يقوم من علاقات بين "ما" و"لم" على وجه الاستبدال كما في:

–لم يقم زيد أمس **–ما قام زيد أمس**[21].

ودلالتهما المشتركة على نفي الماضي، وما يقوم بين "لا" و"لم" من تداخل في بعض الاستعمال على سبيل حمل "لا" على "لم" في مثل الشاهد المذكور في الكتب:

–لا صدّق ولا صلّى **–لم يصدّق ولم يصلّ.** [22]

رغم كل هذه الاعتراضات لحالات مشابهة نرى ضرورة التمسك بافتراض وجود معنى أساسي في الحرف قابل للتعامل مع الدلالات التي تحف به فيتغير المعنى بموجب هذا التركيب للمعاني ولكن التغيّر لا يعني أن الحرف فقد ذلك المعنى الأساسي شأنه في ذلك شأن أي مكوّن كيميائي.

وأما القضية الثانية فتتصل بما قد يبدو من تناقض بين الحديث عن معان للحروف وبين اعتبار الحرف دالا على معناه في غيره وقد وزّع النحاة حروف النفي حسب الدلالة الزمانية التي تكون للحروف ووزعوا حروفها كالآتي:

- ما: لنفي الحال
- لم وأختها لما: لنفي الماضي
- لا وأختها لن: لنفي الاستقبال
- تبيّن الأمثلة التالية العلاقات التي تجعل كل حرف من حروف النفي ردّا على ما يقتضيه من إثبات

أ–ما يفعل ⟵ هو يفعل

ب–ما فعل ⟵ لقد فعل.

جـ– ما زيد منطلق/منطلقا ⟵ زيد منطلق

1: أ– لم يفعل ⟵ فعل

ب–لما يفعل ⟵ قد فعل

2: أ– لا يفعل ⟵ هو يفعل(والفعل غير واقع)

ب– (والله) لا يفعل ⟵(والله) ليفعلن

ج– لا رجل قادما ⟵ رجل قادم[23]

3: أ–لن يفعل (س/سوف) ⟵ يفعلُ.

تقسّم الجملة المنفية بحسب دلالتها الزمنية واستعمالاتها واقترانها بالأدوات على الشكل الآتي:

1-النفي في الماضي (لم، ولما).

2-النفي في الحال(لا وما وليس).

3-النفي في المستقبل(لن).

" إنّ أي خطاب يؤسّس دلالته على رؤية عقلية، فلسفية للعالم مرتبط بماهية الظاهرة الأدبية ووظائفها، وإذا كانت المعرفة الإنسانية ميدانا واسعا لتباين الرؤى واختلاف الآراء بحكم المرجعيات الفكرية والفلسفية فإن ميدان الأدب والنقد أكثر الميادين المعرفية تباينا في الآراء كونه موضوع جمالي من الدرجة الأولى، والجمال استجابة ذاتية لأثر الأشياء في النفس"[24].

" يقوم التحليل البلاغي الجمالي على النظر في العوامل التي تشكّل جماليتها بوصفها أحد المكونات التي تسهم في أسلبه الخطاب، وتمدنا البلاغة عبر تاريخها الطويل بجملة من العوامل التي تُظهر الاستثمار الوظيفي الجمالي للصور في الخطاب الأدبي، بيد أنّ معظم البلاغيين اليوم ينظرون إلى هذا المنظور الجمالي في تحليل الصور باعتباره ممارسة لا تنتمي إلى حقل البلاغة الذي ينبغي أن ينشغل بالوظيفة الحجاجية التي تضطلع بها الصور في الخطاب أن ينشغل بالوظيفة الحجاجية التي تضطلع بها الصور في الخطاب دون أن يعير اهتماما لمظهرها الجمالي الذي تنشغل به حقول أخرى كالأسلوبية.[25]

تشكّل عيون البصائر لـ:**"محمد البشير الإبراهيمي"** استجابة جمالية باختلاف المواضيع المطروقة فيه، نحاول في هذا المقام تناول جماليات أسلوب النفي من خلال بعض مقالات الإبراهيمي، يقول الدكتور **"عبد الرزاق قسوم"** في هذا السياق:" أنّ من خصوصيات –الإبداع البياني–في الخطاب الإبراهيمي، هذا الربط المحكم البديع بين المبنى والمعنى، أو بين الموسيقى التصويرية والدلالة التعبيرية، وكل ذلك في سجع مقل وإيجاز غير مخل...

يقول **الإبراهيمي – رحمه الله–**: « أَتطلبون الفص من اللّص، وتقيسون في مورد النصِ؟ » ، و يقول أيضا: « والمرأة الجزائرية تنتحب، والحكومة الجزائرية تريد لها أن تنتخب»..وأمثلة كثيرة تشد الدّارس إليها فلا تدع عقله يسهو أو عينه تغفو، لأن متابعة التسلسل البياني تحول دون ذلك...[26]

يقول **" أحمد طالب الإبراهيمي"** في مقدّمة كتاب **"عيون البصائر"** « **أليس** في هذه الاستعارة التمثيلية ما يؤكّد صحة ما ذهبنا إليه من قبل، وهو أنّ فاقد الثقافة الفقهية لا حظَّ له في غوصِ أعماقِ الدلالة التي يرمي إليها الخطاب الإبراهيمي...».[27]

والاستفهام الإنكاري يقع ضمن ما يسمّى بالنّفي الضمني وهو ضرب من ضروب النّفي لكنّه أسلوب أكثر بلاغة.

ونجد ذلك في قول **"الإبراهيمي"**: « **لا** يسيغُ منطق و**لا** عقل كيف تكون الوحدة بينَ سيدٍ ومسود، وكيف تتصوّر بين حاكم مزهو بعصبيّته جنسيّة تظاهرها عصبيّة دينيّة، وبين محكوم؟، **وكيف** تتّفق وفي وطن ساكتوه صنفان،

وقوانينه صنفان؟و**كيف** تتمّ في بلد كنيته حرّة، وبيعته حرّة، ومسجده مستعبد؟ **وكيف** تتحاورنا عقيدة أو لسان مع كلمة السّيادة الفرنسية التي تلوكها الألسنة، وتتّضح بها الأقلام خصوصا في هذه الأيّام ؟! ».[28]

" وفي حالات أخرى قد يخرج الاستفهام عن معناه الحقيقي، وهو الاستخبار، إلى معنى الإنكار أو التقرير لذا يسمى الاستفهام الإنكاري... وفي حالات كثيرة يُبطّن فيه معنى النّفي؛ لأنّ ما بعد أداة الاستفهام يكون منفيًا، وتسمية هذا الاستفهام إنكارًا..."[29]

ومعلوم لدينا أنّ الاستفهام يأتي بأدوات أشهرها (**هل**)، ومعنى النّفي المستفاد من هذه الأداة (هل) لا يطابق النّفي بالحرف، بل هو استفهام أشْرِبَ معنى النّفي ومنه قوله تعالى: ﴿**هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ** ﴾.[30] أو عندما تقول لأحدهم: أأحدٌ أمركَ بهذا؟ يخرج الاستفهام إلى معنى الإنكار؛لأنّ الاستفهام هنا أبطن معنى النّفي.ويستخدم "**الإبراهيمي**" هذا الصنف من النّفي .

وهذا أسلوب استفهام إنكاري دخلت همزة الإنكار، والسؤال بالهمزة يأتي لمعنى الإنكار وهو نوع من النفي يورده "**الإبراهيمي**" في مقالاته، وهو ما يمثل لدينا جمالية أسلوبية تختص بها عيون البصائر.

« وا عجبًا لما يفعل الزمان ! ....العاصمي أصبح من ذوي الأتباع ؟وإنّا لا ندري أي من الأتباع يريدون؟...».

يقول "**الإبراهيمي**" في مقال له بعنوان: -التعليم العربي والحكومة- « إنّ المفاوضات لا تكون إلّا لتجلية الجوانب الغامضة من القضية، أو تبين النقط المجهولة، أو فهم المقاصد الخفية، أو حلّ المواضيع المشكلة، وشرط نجاحها حسنُ النيّة وطهارة القصد من الجانبين، وقضيّتنا نيّرة الجوانب، معلومة المذاهب، مفهومة المقاصد، واضحة المعالم، بيّنة الحق؛ ولكن المفاوضات فيها لا تنجح ولن تنجح لفقدان شرط النجاح، وهو حُسنُ النيّة وطهارة القصد في أحد الجانبين..».[31]

الجملة الخبرية:

« الجمل الخبرية هي أنموذج الجملة التي يود فيها التمييز بين المسند إليه والمسند، فللمسند إليه عموما صورة المركب الاسمي، أما المسند فيدرج بفعل مصرّف مع فاعله (المتكلّم/أو المخاطب أو الغائب مفردا أو جمعا)، وخاصيّة الجمل الخبريّة أنها تقول شيئا ما عن شيء ما وأنّها تحقق إخبارا، وللإخبار صورتان صورة موجبة هي الإثبات وأخرى سالبة هي الإنكار، وإجمالا فمن طبيعة الجمل الخبرية أن تمثل حكما بالصدق أو الكذب على حالة الأشياء التي تمثّلها الجملة ».[32]

الخاتمة:

وختاما نرى أنّ أسلوب النفي يتبوأ مكانة هامة في مقالات "**الإبراهيمي**" باعتباره أحد أهم الأساليب التي استخدمها تارة لدحضِ أمر ما أو في سياق شدّة الإنكار وكذا التكذيب والاستهزاء بالاستعمار ومن أهم الجماليّات البلاغية الآتي :

1- النّفي أسلوب لغوي تحدّده مناسبات القول، وهو أسلوب نقض وإنكار، يُلجأ إليه لدفع ما يتردّد في ذهن المخاطب، كما أنه باب من أبواب المعنى، يهدف به المتكلّم إخراج الحكم في تركيب لغويّ مثبت إلى ضده، وتحويل مع ذهني فيه الإيجاب أو بصرف ذهن السامع إلى ذلك الحكم. قال **الزركشي** في البرهان :" النفي شطر الكلام كله، لأنّ الكلام إما إثبات أو نفي."، فما من متكلّم إلّا ويحتاج إلى إثبات شيء لشيء أو نفيه عنه، وهذا النفي يحتاج إلى جملة من الأدوات رغم اشتراكها في النفي، إلا أنها تفترق في بعض المزايا والخصائص ، والبلاغة في النفي هي استخدام تلك الأدوات مع مراعاة الفروق الدقيقة بينها حسب ما يقتضيه المقام .

2- يستخدم "**الإبراهيمي**" النَّفي الضمني الذي يعتبر من الأساليب النّفسية غير المباشرة، وقد يكون أحيانا أشدّ تأثيرا من الدعوة الصّريحة المباشرة، فمن حكمة الدّاعية أن يصرف المدعو عن الرذيلة نحو الفضيلة، بتلويح في المقال، وتعريض في الخطاب، فإنّ المتلقي إذا فهِم المقصود منه كان أوقع في نفسه وأعظم تأثيرا في قلبه مع مراعاة حرمته بترك المجاهرة والتوبيخ، وهو دليل واضح على رقيّ وبلاغة أسلوب "**الإبراهيمي**".[33]

الهوامش:

[1] مسعود بودوخة، الأسلوبية والبلاغة العربية (مقاربة جمالية)، مركز الكتاب الأكاديمي، الأردن، ط1، 2016م، ص15.

[2] المرجع نفسه، ص 15.

[3] مارك جيمينز، ما الجمالية؟، ترجمة:شربيداغر، المنظمة العربية للترجمة، الحمراء- بيروت، ط1، أفريل 2009م، ص444.445.

[4] علي آيت أوشان ، السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط1، 1421هـ-2000م.ص

[5] مُحَمَّد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، تعليق: مصطفى ديب البُغا، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة-الجزائر، ط4،

[6] جمال الدين بن منظور، لسان العرب، دار الرشاد ودار صادر، بيروت، (ب ط) (ب ت)، مادة (نفى)، 237، 236.

[7] المائدة الآية 35.

[8] هند بنت مصطفى شريفي، أسلوب التعريض والتلميح والإيحاء في الدّعوة، 04 /06/ 1437هـ-2016م /03/ 12 www. Alukah.net

[9] ينظر: ابن يعيش، شرح المفصل ص 85.86

[10] الشريف ميهوبي، نفي الجملة في العربية مفهومه وأدواته، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة باتنة، العدد11، ديسمبر2004م، ص175

[11] إميل ميشال ، ميشال عاص، المعجم المفصل في اللغة والأدب، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1987، مجلد 1، ص40

[12] المائدة، الآية 33.

[13] الزركشي، ص474.

[14] ينظر: أسماء عبد الباقي مُحَمَّد، أسلوب النفي في بعض الأحاديث النبوية الشريفة صحيح مسلم أنموذجا، العدد 102، مجلة كلية الآداب، الجامعة المستنصرية –كلية الآداب قسم اللغة العربية، ص 193.

[15] مُحَمَّد حماسة، في بناء الجملة العربية، دار غريب، القاهرة، ط1، 2003م، ص280.

[16] عيون البصائر، ص 66.

[17] هود، الآية 08.

[18] عيون البصائر، ص 61، 60.

[19] مُحَمَّد مبشال، البلاغة والخطاب، دار الأمان، الرباط ، ط1، 1435هـ-2014م، ص 138.137.

[20] عيون البصائر، ص 51.

[21] ينظر: شكري المبخوت، إنشاء النفي وشروطه النحوية الدلاليّة، ص 118.

[22] شكري المبخوت، إنشاء النفي وشروطه النحوية الدلاليّة، مركز النشر الجامعي، تونس، (د، ط)، 2006م، ص119.

[23] المرجع نفسه، ص 120، 119.

[24] مسلم حسب حسين، جمالية النص الأدبي دراسات في البنية والدلالة، دار السياب للطباعة والنشر، ط1، 2007م، ص 07.

[25] مُحَمَّد مبشال، البلاغة والخطاب، دار الأمان، الرباط ، ط 1، 1435هـ-2014م، ص106.

[26] ينظر:مُحَمَّد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، دار الغرب الإسلامي، ط1 1997م، ص10.

[27] مُحَمَّد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، ص 13.

[28] مُحَمَّد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، 94.

[29] طايل مُحَمَّد أحمد الصّرايرة، ملازمة النّفي في اللغة العربية(دراسة تقابلية في ضوء علم اللغة المعاصر)، رسالة لنيل درجة الماجيستير في اللغة قسم اللّغة العربية وآدابها، جامعة مؤتة، 2015م، ص 63.

[30] مريم، الآية 98.

[31] مُحَمَّد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، ص 234.

[32] آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر:سيف الدين دغفوس ومُحَمَّد الشيباني، مراجعة: لطيف زيتوني، المنظمة العربية للترجمة، ص 54.

[33] هند بنت مصطفى شريفي، أسلوب التعريض والتلميح والإيحاء في الدّعوة، 1437/06/04هـ-12 /03/2016 www. Alukah.net .